حقوق الإنسان / رؤية سوسيولوجية

د. ثناء محمد صالح عبدالرحيم(*)

المبحث الأول

حقوق الإنسان عبر التاريخ

نشأ الفكر السياسي قديماً في إطار منهجي قوامه أن التمايز الإنساني والواقع حقيقة لا وجود لها طالما أن الواقع يشارك الإنسان في صنعه أي في صفته الإنسانية أسهمت تلك النظرة في إثراء العراقية إثراءً تنظيمياً سياسياً تعدت الآراء بشأنه:

وهي في مجملها اتخذت منحى يؤكد أن العراقية لم تعرف أي شكل تنظيمي للسلطة سوى الشكل الاستبدادي، وآخر وقف بالضد مؤكداً ومعززاً بالأدلة آلية عملها الديمقراطي و مؤكداً على أن الصراعية حالة تقتضيها وظيفة عملية الوعي الاجتماعي، أن الاجتماعية في تطورها تمر بمرحلتين هما:

المرحلة الأولى: تكون فيها القوى الاجتماعية قائمة بذاتها وذلك عندما تكون قد وجدت من الناحية الفعلية بحكم الضرورة التي يفرضها التطور الاجتماعي.

المرحلة الثانية: فإن القوى الاجتماعية تتحول من قوى اجتماعية قائمة بذاتها إلى قوى اجتماعية قائمة لذاتها وذلك عندما تكون هذه القوى الاجتماعية قد بدأت تدرك وجودها المتميز قياساً الواحدة بالأخرى، وبدأت كل واحة منها تتلمس مركزها الخاص بها بالنسبة لمجموع العلاقات الاجتماعية وراحت علاقاتها فيما بينها تتحدد على هذا الأساس علماً أن مثل هذا التحول لا يتحقق إلاّ من خلال احتكاك القوى الاجتماعية فيما بينها

(*) أستاذ مساعد – قسم الاجتماع/ كلية الآداب.

وذلك عند صراعها مع بعضها، وقد ارتهن وجود التنظيمية السياسية عراقياً (سلطة بشعب، علاقة السلطة بالشعب) ومنذ الأزل بجعل السياسية سلطة قرينة فروض ينبغي الاضطلاع بها تجاه الشعب "كتحقيق الخير للشعب".

كما ارتهن وجودها (شعباً إزاء السلطة) بأن يلتزم بالطاعة لسلطته وتتم هذه الطاعة ضمن إطار دايلكتيكي كأن يلتزم بالطاعة لسلطته متى كانت الأخيرة تقوم بتحقيق الخير الإجماعي لصالح هذا الفرد، وفي الأحوال التي كانت تحجم فيها السلطة عن القيام بذلك كان الفرد العراقي يحجم عن تقديم الطاعة لها وربما يتمرد عليها في أحيانا ويأخذ هذا التمرد أشكالا مختلفة[١].

ففي لكش عثر على لوح يرجع عمره إلى (٢٣٠٠ق. م) يشرح تفاصيل اقدم إصلاح اجتماعي كان موجه القضاء على المساوئ التي كان يتذمر منها سكان تلك المدينة وبالأخص التذمر من الضرائب التي كانت تفرض عليهم خلافاً للقانون، وفي ثنايا هذا الإصلاح ما ينم عن دافعية اعتاد عليها سكان الرافدين ذلك انهم اعتادوا على ممارسة حقوقهم وحرياتهم في حدود القانون.

وكان رد الفعل السلطوي إزاء تلك الدافعية المجيء بالحاكم "اوركاجينا" إلى الحكم، وكان قد أعاد العدل والحرية إلى المواطنين وأزال الضرائب وفي قوله "ساجعل بيتاً للفقير بجوار بيت الغني الكبير "ما يجسد العدالة في حكمه[٢]، كما جسدها حكم حمورابي في سنوات متقدمة قائلاً في إحدى موارده القانونية التي تضمنتها شريعته:

---

[١] عبدالرضا الطعان، الفكر السياسي في العراق القديم، دار الرشيد سلسلة دراسات (٢٨٢) لعام ١٩٨١، ص ٨٨، ص ٤٨، ص ٤٩.

[٢] فوزي رشيد، الشرائع العراقية القديمة، دار الرشيد للنشر، سلسلة دراسات ١٨٨ لعام ١٩٧٩،ص ١١-١٤.

إذا قضى قاضٍ بقضية واتخذ قراراً.... ثم غير حكمه... ان يثبتوا انه غير... يطردونه من كرسي القضاة..... محققاً بذلك مثول الحاكمية أمام القانون إذا اقتضى الأمر.... [١].

وهكذا وفي حدود الصورة التي اتخذتها العلاقة بين السلطة السياسية والشعب عرفت الملامح الأساسية للديمقراطية بصيغتها البدائية في العراق القديم[٢]. إلا ان هذا المفهوم لم يكن منسجما مع الخط التقليدي للديمقراطية الذي عرفه الإغريق لكنه في الوقت نفسه يعبر عن نوع من الأصالة بقدر ما كانت الديمقراطية تبدو وبموجبه بوصفها تكريس الحكم من اجل الشعب.... يضاف إلى ذلك أن نمط الديمقراطية البدائية قد افرزه واقع مجتمع كان ما يزال في المراحل الأولى من التطور الحضاري، وهذا يبرر سبب غياب حضوره وابتعاده عن أن يكون مصدراً من مصادر الديمقراطية الليبرالية في العراق والوطن العربي الحديث[٣].

وإسلاميا بدأت قصة حقوق الإنسان مع بدء خلق الإنسان. فالحق من أسماء الله تعالى، وقيل من صفاته وفي التنزيل[٤] (ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق).

---

[١] هاري ساكز، عظمة بابل، موجز حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة، ترجمة د. عامر سليمان إبراهيم، ط٢، لندن، ١٩٦٦، ت العربية، ١٩٧٩، ص ٢٢٣.

[٢] عبدالرضا الطعان، مفهوم الديمقراطية في العراق القديم، آفاق عربية، سنة ١٤، ع٦، حزيران ١٩٨٩، ص ٧٨.

[٣] عامر حسن فياض، جذور الفكر الديمقراطي الليبرالي في العراق القديم، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ١٩٩٠، ص ٢٦.

[٤] محمد القطب طبلية، الإسلام وحقوق الإنسان دراسة مقارنة، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٧٦، القاهرة ص ٦.

وفي القرآن الكريم نجد شمولية معاني الحق والحقوق وغناء مضامينها وبهذا ورد في القرآن الكريم لفظ الحق (٢٤٠) مرة تقريباً ولفظ حق (١٢) مرة ولفظ حقاً (١٧) مرة ولفظ (حقه) ثلاث مرات[١].

ولفظ الحق يختلف المراد منه على سبيل التعيين في القرآن الكريم باختلاف المقام الذي وردت فيه الآيات وعناه العام لا يخلو من معنى الثبوت والمطابقة للواقع[٢].

فقد يطلق الحق ويراد به الله عز وجل؛ لأنه الموجود الثابت لذاته وكذلك هو كتب الله وما فيها من العقائد والشرائع والحقائق، والحق في معنى آخر أحد حقوق العباد وهو ما وجب للغير ويتقاضاه، كما انه العدل وكذلك الواجب الذي ينبغي ان يطلب[٣].

وأول ما يستوقفنا من هذه الحقوق إضافة إلى تنوع مضامينها وثراء معانيها هو ان منشأها الحكم الشرعي، وهو ما يعني أو يقابله في الفقه القانوني (بالقاعدة القانونية) فلا يعد الحق حقاً في نظر الشرع إلا إذا أقره الشرع، وتقريره إنما يكون بحكم والحكم يستمد من مصادر الشريعة فكانت مصادر الشريعة هي بعينها مصادر الحقوق، أي ان الشريعة هي أساس الحق وليس الحق أساس الشريعة.

وتبدأ قصة حقوق الإنسان مع بدء خلق الإنسان قال الله عز وجل (وهو الذي جعلكم خلائفَ الأرضِ) (الأنعام: ١٦٥).

يرى الإسلام أن الإنسان موضع التكريم من الله عز وجل الذي حباه بذلك التكريم ومنحه إياه فضلا منه تعالى، ويتساوى بهذا التكريم جميع

---

[١] محمد فؤاد عبدالباقي، معجم ألفاظ القرآن الكريم، المادة ح ق ، مطابع الشعب، القاهرة ، ١٣٧٨هـ / ١٩٥٠م.

[٢] محمد القطب، مصدر سبق ذكره، ص ٣-٤.

[٣] المصدر نفسه، ص ١-٣١.

البشر بصفتهم الإنسانية، مهما اختلفت ألوانهم ومواطنهم وأنسابهم كما يتساوى في ذلك النساء والرجال وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى (ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البرِّ والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضّلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً) (الإسراء: ٧٠).

ويؤكد التصور الإسلامي على أن ميزان التكريم يعتمد على الارتباط العقائدي للإنسان، وان منزلة التكريم تحددها تقوى الإنسان وقبوله هداية الرسل، ومنهج الوحي، وفي ذلك يقول الله تعالى: (لقد خلقنا الإنسان في احسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) (التين: ٤-٦) كما يقول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ((ان الله تعالى قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية وفخرها بالآباء. إنما هو مؤمن تقي أو فاجر شقي، الناس كلهم بنو آدم، وآدم خلق من تراب))[١].

وتتجلى الأبعاد الرئيسة في حقوق الإنسان هو متصور إسلاميا في:

أ. الحقوق المرتبطة بالغاية من وجود الإنسان على الأرض كحق العبادة وحق الحرية الواقعية، وحق التكامل، وحق العلم.

ب. الحقوق المرتبطة بأصل وجوده على الأرض، كحق الحياة، وحق الأكل والشرب والعمل، وحق استثمار الأرض وإعماؤها والتمتع بخيراتها، وحق الكرامة الإنسانية.

ت. الحقوق المرتبطة بالمجتمع الإنساني، كحق المساواة في الإنسانية، والمساواة في الحقوق والواجبات والمسؤوليات، وحق الملكية[٢].

---

[١] ابن الأثير، جامع الأصول من أحاديث الرسول، الجزء الحادي عشر، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص ٣٤٦.

[٢] السيد محمد باقر الحكيم ، حقوق الإنسان من وجهة نظر إسلامية، أنوار الحكمة، منشورات دار الحكمة، القسم الثقافي، ١٩٨٧، ص ٤٥-٥٨.

لقد علَّم الإسلام عبادة الشورى واحترام الرأي الآخر والإقناع بالحجة والإقرار بحق المعارضة وهو أول درس في حقوق المخلوق في هذا الكون.. . لقد ضرب الله مثلاً لخلقه حين قال للملائكة (إني جاعل في الأرض خليفة) (البقرة: ٣٠) فأجابت الملائكة (أتجعلُ فيها من يُفسدُ فيها ويُسفكُ الدماء) ولم ينته الخطاب في النص القرآني عند قوله تعالى: (إني أعلم ما لا تعلمون)، بل أراد أن يقنعهم بالحجة فأمر آدم ان يبرز علمه بعد ان علّمه الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة وطلب منهم ان يثبتوا مدى علمهم فقال تعالى: (قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم). لقد كان هذا الدرس الأول في حقوق المخلوقات في هذا الكون، وكان الدرس الثاني عن أول انتهاك لحقوق الإنسان على ظهر البسيطة حين ثارت الغيرة والحسد في أحد ابني آدم متمثلاً ذلك بقوله تعالى: (واتلُ عليهم نبأ ابني آدمَ بالحق إذ قربا قربانا فتُقبِّلَ من أحدهما ولم يُتَقبَّل من الآخر قال لأقتلنَّك قال إنما يَتَقَبَلُ الله من المتقين لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخافُ الله ربَّ العالمين إني أريد أن تبُوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين) (المائدة: آية ٢٧-٣٠) وهنا يأتي التقرير الإلهي ليصور جسامة انتهاك حق الحياة الذي يعد قتل الفرد فيه قتلاً للبشرية كلها والدفاع عن حياة فرد إحياء للبشرية كلها (من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه مَن قتل نفساً بغير نفس أو فسادٍ في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومَن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً) (المائدة آية ٣٢).

سارت البشرية شوطا طويلا في النضال ضد الظلم وضد انتهاك حقوق الإنسان ولعل أول منظمة شعبية أنشئت للدفاع عن حقوق الإنسان

هي منظمة "حلف الفضول" الذي أنشئ في أواخر القرن السادس الميلادي في مكة أي في العصر الجاهلي[١].

أما في الغرب فيرجع الباحثون أول تمجيد للحقوق الإنسانية في الوثائق الدستورية إلى نهاية القرن الثامن عشر، وكان أول عمل قانوني من هذا النوع اكتسب شهرة عالمية مسوغة هو (وثيقة فرجينيا للحقوق) سنة ١٧٧٦، وهي إعلان الحقوق التي قاوم بها المستوطنون الأمريكيون مطالبة التاج البريطاني بالسلطة، وهو أول دستور مكتوب يؤسس قائمة ببعض الحقوق الإنسانية الليبرالية بوصفها حقاً دستورياً وقد أنشئ كذلك مبدأ فصل السلطان ثلاثي السبل بوصفه حقاً أساسياً وقد كتبه توماس جيفرسون (٧٤٣-١٨٢٦).

وقد بدأت الثورة الفرنسية "إعلان الحقوق الإنسانية" سنة ١٧٨٩، وكان امانويل جوزيف سييس (١٧٤٨-١٨٣٦) قد وضع وثيقة حقوق الإنسان وكانت قد أقرتها الجمعية التأسيسية وأصدرتها كإعلان تاريخي ووثيقة سياسية واجتماعية ثورية في ٢٦ آب ١٧٨٩ بالاعتماد على نظريات جان جاك روسو (١٧١٢-١٧٧٨) وأنشأت دستور ١٧٩١ الذي جسد هذا الإعلان ومنذ ذلك التاريخ جرى تدويلها فدخلت مضامينها في ميثاق عصبة الأمم المتحدة ١٩٢٠، ثم في ميثاق الأمم المتحدة سنة ١٩٤٥، ثم أفردت دولياً بوثيقة خاصة وهي (الإعلان العالمي لميثاق حقوق الإنسان) الذي أقرته الأمم المتحدة في ١٠ كانون الأول / ١٩٤٨، ويؤكد على أنها "المثل الأعلى المشترك الذي ينبغي ان تستهدفه كافة الشعوب والأمم حتى يسعى كل فرد وهيئة في المجتمع واضعين على الدوام هذا الإعلان نصب أعينهم إلى توطيد احترام هذه الحقوق والحريات عن طريق التعليم والتربية واتخاذ

---

[١] د. محمد عبدالملك المتوكل، الإسلام والإعلانات الدولية لحقوق الإنسان، مطابع صنعاء الحديثة، ٢٠٠٤، ص ٩-١٢.

إجراءات مطردة، قومية وعالمية لضمان الاعتراف بها ومراعاتها بصورة عالمية فعالة، بين الدول والأعضاء ذاتها وشعوب البقاع الخاضعة لسلطاتها.

ومنذ ذلك الحين صارت الحقوق الإنسانية (القانون الدولي الإلزامي ولا سيما في الميثاقين المتعلقين بالحقوق الإنسانية اللذين جرى الاتفاق عليهما بالإجماع في الأمم المتحدة سنة ١٩٦٦ واصبحا نافذي المفعول[١]سنة ١٩٧٦.

[١] برهان غليون و آخرون، حقوق الإنسان العربي / الإسلاميون وحقوق الإنسان: إشكالية الخصوصية والعالمية، رضوان زيادة، ص ١٣٣-١٣٥، سلسلة كتب المستقبل العربي (١٧)، مركز دراسات الوحدة العربية.

المبحث الثاني

حقوق الإنسان توطئة نظرية[١]

يمكن القول إن التأسيس المتعالي لقضايا الإنسان الكبرى قضايا الحق والواجب والخير والفضيلة والوجود والمصير.. . . لم يكن شيئا اخترعه الفلاسفة الأوربيون، بل ان التعالي بالقضايا الإنسانية التي من هذا النوع ظاهرة عامة تشترك فيها جميع الثقافات والحضارات وإذا حصرنا اهتمامنا في الثقافة العربية الإسلامية والغربية لوجدنا أن مجال المقاربة واسع ولا أقول المقارنة لاختلاف الظروف التاريخية والحضارية مع اتفاق الغاية ألا وهي تأصيل الوعي بحقوق الإنسان.

- لقد وظف فلاسفة أوربا فرضية التطابق بين الطبيعة ونظام العقل ليجعلوا العقل المرجعية الأولى والحكم الأول والأخير. وجعل العقل المرجعية التي تعلو على غيره ويمكن قراءته في خطاب الدعوة الإسلامية، وفي القرآن الكريم. لقد دعا القرآن الكريم مراراً وتكراراً إلى تأمل نظام الطبيعة واستخلاص النتيجة منه، أي وجود خالق يجب الارتباط به وحده والتحرر من جميع السلطات الأخرى، وغالباً ما يختم دعوته بعبارات توحي بأن نظام الطبيعة هو نفسه نظام العقل من ذلك قوله تعالى في سورة البقرة: ١٦٤: (إن

---

[١] ما ورد في المبحث خلاصة حوار ثقافي للباحثة مع الدكتور متعب فضلاً عن اعتماد المصادر الآتية:

- مجموعة باحثين، تحرير عبدالله احمد النعيم، الأبعاد الثقافية لحقوق الإنسان في الوطن العربي، محمد عابد الجابري، رؤية عامة للأبعاد الثقافية الحضارية لحقوق الإنسان، ص ٧٧-٩٠، إصدار مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية، ط١، ١٩٩٣.
- محاضرات ألقيت على طلبة المرحلة الأولى.
- البير بابيه، تاريخ إعلان حقوق الإنسان نقله للعربية محمد مندور، القاهرة، ١٩٥٠.

في خلق السماوات والأرض، واختلاف الليل والنهار لآيات لقوم يعقلون) نظام الطبيعة هنا (السماوات، الأرض، الليل، النهار) آيات يدرك العقل مغزاها ودلالتها. وواضح ان العقل ما كان ليدرك مغزى نظام الطبيعة إذا لم يكن نظامه هو نفسه مطابقا لنظام الطبيعة، إذا لم تكن أحكام العقل وقوانين الطبيعة متطابقة. هذا من جهة ومن جهة أخرى نجد القرآن الكريم يوظف مراراً وتكراراً العقل سلطة وحكماً، مؤنباً الذين يخضعون للتقليد داعياً إياهم إلى تحكيم العقل وحده كما يظهر ذلك في قوله تعالى: في سورة الشعراء ٧٤-٧٥: (قالوا نعبد أصناما فنظلُّ لها عاكفين، قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون، قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون).

- هذه الدعوة إلى اعتماد العقل وترك التقليد والاهتداء بآيات الكون "نظام الطبيعة" تقترن في الخطاب القرآني بالدعوة إلى الرجوع إلى الفطرة. والفطرة في الخطاب القرآني مفهوم يكاد يكون مطابقا لمفهوم حالة الطبيعة ففي سورة الروم: ٣٠ نجد قوله تعالى: (فأقم وجهك للدين حنيفاً، فطرة الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم، ولكنَّ اكثر الناس لا يعلمون) الدين القيم، الدين الحنيف، دين الفطرة هو دين إبراهيم – عليه الصلاة السلام – السابق للأديان السماوية المعروفة. قال تعالى في سورة آل عمران: ٦٧ (ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً، وما كان من المشركين) ولما كان (ان الدين عند الله الإسلام) سورة آل عمران فالإسلام دين الفطرة وفي سورة آل عمران (وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم تفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه) والمقصود به الإسلام هنا هو دين إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – لأنه أصل كل دين سماوي وهو سابق لكل الأديان فهو في النهاية دين الفطرة.

- وفي قوله ما من مولود يولد على الفطرة يعني على العهد الذي اخذ الله عليهم بقوله (ألست بربكم قالوا بلى) فكل مولود في العالم على ذلك الإقرار وهي الحنيفية التي وضعت الخليقة عليها وان عبد غير الله قال الله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله) ولكن لا اعتبار بالإيمان الفطري في أحكام الدنيا وانما يعتبر الإيمان الشرعي المأمور به المكتسب بالإرادة والفعل ألا ترى إلى قوله (فأبواه يهودانه أو ينصرانه) فهو مع وجود الإيمان الفطري فإنه محكوم له بحكم أبويه الكافرين وهذا معنى قول النبي – صلى الله عليه واله وسلم – في حديث آخر (يقول الله عز وجل إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم).

غرباً تقوم فرضية العقد الاجتماعي "الحق في الحرية والحق في المساواة" على ركيزتين اثنتين – تنازل الناس عن حقوقهم الطبيعية والإرادة العامة التي تعلو على جميع الارادات والتي لا يحركها إلا المصلى المشتركة والخير العام من جهة ومن جهة أخرى استعادة هذه الحقوق في صورة حقوق مدنية تنظمها الدولة وتضمنها نيابة عن الإرادة العامة تلك إرادة المجتمع كله.

نحن إذن أمام ثلاثة عناصر وكما أشرنا إسلاميا في صفحات سابقة:

- أفراد البشر أصحاب الحقوق الطبيعية.
- الإرادة العامة التي تناول لها الناس عن حقوقهم تلك.
- الجماعة المنظمة التي يمارس فيها الإنسان حقوقه تلك، وقد عادت إليه في صورة حقوق مدنية منظمة يمارسها الفرد بصورة لا تنتهك فيها حقوق الآخرين. وهي ما يعبر عنها بسلطان الدولة أو سلطان الحاكم الذي تمتثل لها العوام.

ان تنازل البشر عن حقوقهم للإرادة العامة في فرضية العقد الاجتماعي يقارنه اعتراف بني آدم وشهادتهم على أنفسهم بربوبية الخالق

وحدهُ. أي أنهم بهذا الاعتراف يكونون قد تنازلوا عن حقهم في عبادة أية آلهة أخرى ملتزمين بعبادة الله وحده والاعتراف به وحده كسلطة تحرر الإنسان من السلطات الأخرى وتجعله يستغني عنها هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنَّ هذا التنازل ليس من دون مقابل إذ ان الخالق يبعث فيهم الرسل لتبين لهم طريق الهداية والفلاح، فكأن تنازلهم عن حقهم الطبيعي في عبادة ما شاؤوا قال تعالى في سورة (سورة الكهف: ٢٩): (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) سيعوض لهم بتلقي الهدى وطريق الصواب بواسطة الرسل.

هذا الميثاق الذي أقيم عن بدء خلق آدم الذي يؤسس العلاقة بين الخالق والناس (أي الدين) يتحول إلى عقد اجتماعي واقعي مع بداية قيام المجتمع الإسلامي الذي أطلق عليه القرآن الكريم اسم الشورى قال تعالى في (سورة الشورى: ٣٨) (وأمرهم شورى بينهم) يظهر تنظيم العلاقة بين الناس والدولة في قوله تعالى في (سورة آل عمران: ١٥٩) (وشاورهم في الأمر)، فالشورى مبدأ إسلامي رفيع الدرجة وقد قرنت بالصلاة والزكاة وهما من أعمدة الدين.

إن ادعاء فلاسفة أوربا لحقوق الإنسان مثل حق الحرية والمساواة ليس أمرا خاصا بالحضارة الأوربية، ومن ثم فالأبعاد الثقافية الحضارية لحقوق الإنسان هي أبعاد إنسانية تشترك في التعالي بها فوق الواقع الثقافي الحضاري القائمة به جميع الثقافات، وان مطلب احترام حقوق الإنسان يعد مطلبا موجه دائما ضد واقع ثقافي حضاري قاتم (واقع فكري سياسي اجتماعي اقتصادي) وهو دعوة إلى تغيير هذا الواقع دائما.. . . وجميع الثقافات والحضارات تشترك في تأسيس هذه الدعوة على مرجعية تقدم نفسها على أنها (البداية) والأصل مثل حالة الطبيعة ودين الفطر.

المبحث الثالث

حقوق الإنسان كمرجعية مفاهيمية للتنمية البشرية

يقول حسين جميل "ان مجرد النص على الحقوق والحريات من دستور الدولة او غيره من القوانين الداخلية لا يضمن دائما تمتع الإنسان فعلاً بالحقوق والحريات المنصوص عليها، فقد يكون الغرض من الاعتراف بحقوق الإنسان في الدستور هو مجرد الإعلام أو إخفاء الطبيعة الحقيقية للنظام السياسي الذي يتعارض مع تمتع الإنسان بحقوقه وحرياته"[١].

لم يكن الدافع في التركيز على حقوق الإنسان دافعاً أخلاقيا محضاً، بل هو دافع مرتبط بحركة الحياة وأسسها وبتطورها نحو الأفضل وهو ما لا يمكن تحقيقه بل ولا يمكن تصوره أصلا إلا من خلال التعامل مع الفرد باعتباره كائناً ناضجاً وقادراً على العطاء عبر ممارسة حياته بحرية وبمسؤولية ودون قهر أو استبداد أو عنف ان حقوق الإنسان تتداخل مع عدد من الظواهر السياسية والقانونية والاجتماعية وبحيث يصعب الفصل بين تلك الحقوق وبين طبيعة الممارسة السياسية (مشاركة من عدمها). ومستوى التطور الاجتماعي / الاقتصاد للمجتمع والدولة (إنتاج أو ريعية) ويعد التداخل بين حقوق الإنسان والديمقراطية أمرا واضحا للعيان فكلما تقدمت درجة الرقي الديمقراطي للدولة والمجتمع كان ذلك ادعى إلى الحفاظ والتمكن من ممارسة حقوق الإنسان والعكس يبدو صحيحا، وقد صاحب تطور حقوق الإنسان عبر التاريخ جدلاً حول روافدها الأساسية. وهل هي حقوق سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو الاثنين معا هذا الجدل ارتبط بالتناقضات الايديولوجية بين التيارات الفكرية (ماركسي، أو ليبرالي، أو اشتراكي) حيث تناصر كل ايديولوجية رافد بذاته. والأفضل هو الدمج بين الروافد المختلفة

---

[١] حسين جميل، في سبيل إنشاء محكمة عربية لحقوق الإنسان العربي، بحث منشور في كتاب الديمقراطية وحقوق الإنسان في الوطن العربي، سلسلة كتب المستقبل العربي (٤)، ط٢، القاهرة، ١٩٤٨.

فالحقوق الإنسانية سواء الطبيعية أو السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية تعد كلاً متكاملاً، وان ممارسة حقوق الإنسان ترتبط بدرجة أو بأخرى بمدى التطور الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي للمجتمع ومؤسساته القائمة كلها[١].

ان حقوق الفرد وواجباته ركائز أساسية مترابطة ضمن الإطار الاجتماعي المقبول لدى القاعدة المجتمعية العريضة لهذا فإن الانتقاص في حق من حقوق الإنسان يخل بالوشيجة المترابطة بين حقوقه. وتشمل حقوق الإنسان الأساسية حقه في الأمان لكي يضمن قوته وكرامته ونماءه بما يعود بالنفع على المجتمع كله، ويظل الهدف الأساسي السامي في تمتع الإنسان بحقوقه مطمحاً طبيعياً وأصيلا. ومقومات هذا الهدف سيادة الشرع والقانون العادل، وضمان الحرية الفكرية وصون الحقوق الأساسية وتحقيق التنمية ذات المحصلة الاقتصادية المتوازنة والظروف الاجتماعية المنصفة[٢].

وهناك حاجة ماسة إلى ما سمي بتنمية الوعي الحقوقي أو خلق أو أيقاظ وعي بحقوق الإنسان والدعوة لمثل هذه المفردات تأخذنا إلى عام ١٩٨٦ فقد تمت المصادقة من طرف الجمعية العامة للأمم المتحدة على إعلان حق التنمية الذي اعتبر حقاً غير قابل للتصرف وعرفت التنمية بأنها: عملية اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية شاملة[٣]. ينصب هدفها أساسا في قدرتها على تمكين الإنسان من الحصول على حقوقه[٤]، ومن ثم أصبحت حقوق الإنسان وهي الحقوق والمطالب التي لا يمكن تحقيقها إلا في

---

[١] حسن أبو طالب، حقوق الإنسان وطبيعة الدول العربية الراهنة، السياسة الدولية، ع ٩٦، أبريل ١٩٨٩، ص ٩٣.

[٢] مهدي الحافظ، ندوة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في الوطن العربي (هيلينتال (النمسا)، ٢٧-٢٩ أيار مايو ١٩٨٨، ص ٦٠-٦٤.

[٣] رضوان زيادة، الإسلاميون وحقوق الإنسان، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣-٢٤.

[٤] محمد فائق، حقوق الإنسان والتنمية، ص ١٠٢، ٢١٥/ ١ سنة ٢٠٠٠.

مجتمع يعيش مخاض عملية تنموية شاملة[١] وعندما يكون الإنسان مهمشاً ومضطهداً فلا ينتظر منه ان يكون له دور فعّال في التنمية الفعلية إذ لابد من أن يكون الإنسان مشاركاً ومنتجاً ولن يكون ذلك دون إتاحة الفرص لانطلاق قدراته وتأهيله التأهيل النوعي الجيد لاكتساب المعرفة والمهرة وزيادة رصيده منهما في إطار المواصلة المعرفية والمهارة المتطورة ولابد في كل الأحوال من أن يتوافر لديه ما فوق الحد الأدنى من حقوق المواطنة متواكبة مع واجباتها الأمر الذي يرسخ الشعور بالانتماء والإخلاص والحماسة والعمل الدؤوب والحرص على المال العام والمصلحة. ومن أهم حقوق المواطنة تمتع الإنسان بقدر مناسب من الحرية والمشاركة في صنع القرار من منطلق تأكيد مسؤوليته المجتمعية وانتمائه، ويتطلب ذلك التركيز على إعداد الفرد وتنمية قدرته على التعلم الذاتي المستمر وملاحقة المعرفة المتجددة واستيعابها وتأصيلها واكتساب المهارات المتقدمة، ويحتاج ذلك إلى تشجيع مبدأ المبادرة والتدريب على ممارسة التفكير العلمي المتكامل والتربية المتفتحة التي تشجع التعبير المستقل[٢].

وبالخروج من التشريعية المؤسسية إلى النخبوية المثقفة التي ترى أن الخروج من الأزمة الخانقة التي تمر بها الأمة على الرغم من كونها في الأساس أزمة حكم، لا تكون بمحاولة القفز مباشرة إلى الحكم وانما بمحاولة حل أزمة المواطن، ويكون ذلك بالعمل من اجل إعادة الحركة في نفسه الساكنة و إعادة الحياة إلى روحه المستكنة المستسلمة. فعلى الطلائع الواعية التي يؤرقها ما وصل إليه حال الأمة التي لا يهمها الوصول إلى

---

[١] رضوان زيادة، المصدر نفسه والصفحة.

[٢] علي خليفة الكواري، نحو استرتيجية بدية للتنمية الشاملة: الملامح العامة لاستراتيجية التنمية في إطار اتحاد أقطار مجلس التعاون وتكاملها مع بقية الأقطار العربية، ص ٢٢.

الحكم أو تغيير النظام بقدر ما يهمها إعادة الدم إلى شريان الأمة أن تتعاون وتعمل فيما بينها من اجل ضمان الحد الأدنى من حقوق المواطن وحرياته الأساسية التي من خلالها وحدها في ظل معطيات الواقع المختلفة يمكنه أن يقف على قدميه مرة أخرى ويستعيد ثقته بأمته ومستقبلها، وعلى النخبة المثقفة الخروج من أبراجها ووضع جانب من إمكاناتها الفكرية والعلمية في خدمة قضايا حقوق مواطنيهم وحرياتهم الأساسية، ولابد من اعتماد مداخل عملية تتبناها الطلائع المثقفة الواعية من خلال موقعها واختصاصاتها واهتماماتها الشخصية والعامة[١] يرى بعضهم[٢] في تغليب الثقافوية لرؤيتها للعالم المتمركزة حول الآلهة بدل الإنسان ما يسهم في الحيلولة دون تحريك الهوية الحقوقية في سعيها إلى الوصول إلى ميثاق عالمي مشترك يعلو على الخصوصيات إلى العموميات التي تعنى بحقوق الإنسان ما دامت محركات الإنسانية تعمل وفق متغيرات مع وجود الثوابت المشتركة إزاء مثل هذه الإشكاليات ما يؤسس إلى ما يسمى بالفجوة أو كما يسميها أوكبرن" "gap" حيث تفاوت المادية والمعنوية حضارة في مسيرتها التغيرية مما يجر المجتمع العراقي إلى إشكاليات في المجتمع وبالتأكيد ستسجل "نكوصاً ديمقراطوياً" كهدف سام ننشده ونحن نؤسس لعراق حداثوي.

ويرى كاتب هذا البحث ان التعامل مع الإسلام نصا حتى القدسية أوقع العوام في سوء فهم النص القرآني بل حتى رعيل المثقفين.

---

[١] منذر عنبتاوي، دور النخبة المثقفة في تعزيز حقوق الإنسان العربي، المستقبل العربي، العدد ٥٢/ ٦/ ١٩٨٣، ص ٢١-٢٢.

[٢] محمد اركون، الفكر الإسلامي: نقد واجتهاد، ترجمة وتعليق هاشم صالح (لندن، دار الساقي، ١٩٩٠). بسام طبيبي، الإسلام وحقوق الإنسان الفردية في الإسلام وعالمية حقوق الإنسان، ١٩٩٨، ص ٦٩.

من منا يدرك المعنى التفسيري الدقيق لما ورد في القرآن الكريم شهادة رجل مقابل شهادة امرأتين، وللذكر مثل حظ الأنثيين.. . . ؟ فأغلبهم يفسرها بالقصور العقلي للأنثى الغالبية يأخذ تفسيراً حيث القصور العقلي للأنثوية.. لا.. . الذكورية في مسؤوليتها تضاهي مسؤولية المرأة، فالذكورية صاحبة العمل والجهد الأكبر.. . نقول هكذا المرأة بالأمس ماذا عن المرأة اليوم وهي أم داخلاً ومهنية خارجاً / م وأب لأسرة فقدت الابوانية شهادة / أم وأب لأسرة فقدت الابوانية ضياعا / فتاة لا حول لها ولا قوة إزاء نص تشريعي مقدس يعلّي الذكورية حقاً في الميراث (وللذكر مثل حظ الانثيين) ذكورية غيّب عنه النص التفسيري الصحيح لمثل هذه التراتبية فغيَّب بدوره حقها في الحياة اقتصاداً.

مؤسسياً نصاً تشريعياً "لا يحق للأنثوية مغادرة البلد إلا بمحرم /آب – اخ.. . الخ وان وجدت ألام.. . . . أي نصٍ تشريعي ظالم ذلك الذي اسقط ألام هويتها وقد شرع نصاً إسلاميا (الجنة تحت أقدام الأمهات) و (أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك).

الناطقة الدينية تقف مستفهمة أمام شرعانية الدستور تتجاوز استفهامها بحث شعبوي يجيب على استفهامه تعددية مرجعه الديني... عذراً وقد أسست العراقية لحداثوية بدأت استفهاماً وتنهي استفهاماً..... ألم يشرع الدستور على أساس نخبوي لصفوة اختارها الشعب.... ان تبدأ استفهاماً. إذن تبقى الحقوقية العراقية تشريعاً تشهد استفهاماً؟!

الخلاصة

التاريخانية وان اختلفت أزمانها إلا ان محركاتها مشتركات. إذ حولت الادلوجة الدينية اللامجتمعية إلى مجتمع وبدورها حولت الادلوجة الانسانوية المجتمع إلى دولة وادلوجة الدولة حولته من دولة اللاقانون الى دولة القانون لترسم قانوناً استبدادياً تارة وانسانوياً أخرى أو ما يسمى بدولة الديمقراطية.

ومسيرة تطورية لمسميات اختلفت مفرداتها لتشترك معاً في هدفها نحو انسانوية فاعلة وحرة وان اختلفت آليات سبل التحقيق إلا انها إجماعا تؤكد على أن القدرة على التطور تكمن "من خلال التعامل مع الفرد بوصفه كائناً ناضجاً وقادراً على العطاء عبر ممارسة حياته بحرية وبمسؤولية ودون قهر أو استبداد أو عنف".

Abstract

Human Rights: Sociological Perspective

(*) **Dr. Thanā' M. Sālih**

The current paper sheds light on the human right throughout the history. This study puts forward the viewpoint that mostly held by most of the scholars that Iraq have not witnessed any systemic form of power save the dictatorial one. Then it focuses mainly on two axes: the first deals with stage in which the social forces spring due to the social necessity. The second deals with the stage in which the social forces stand for their on benefits.

(*) Assist. Prof.- Dept. of Sociology – College of Arts / University of Mosul.